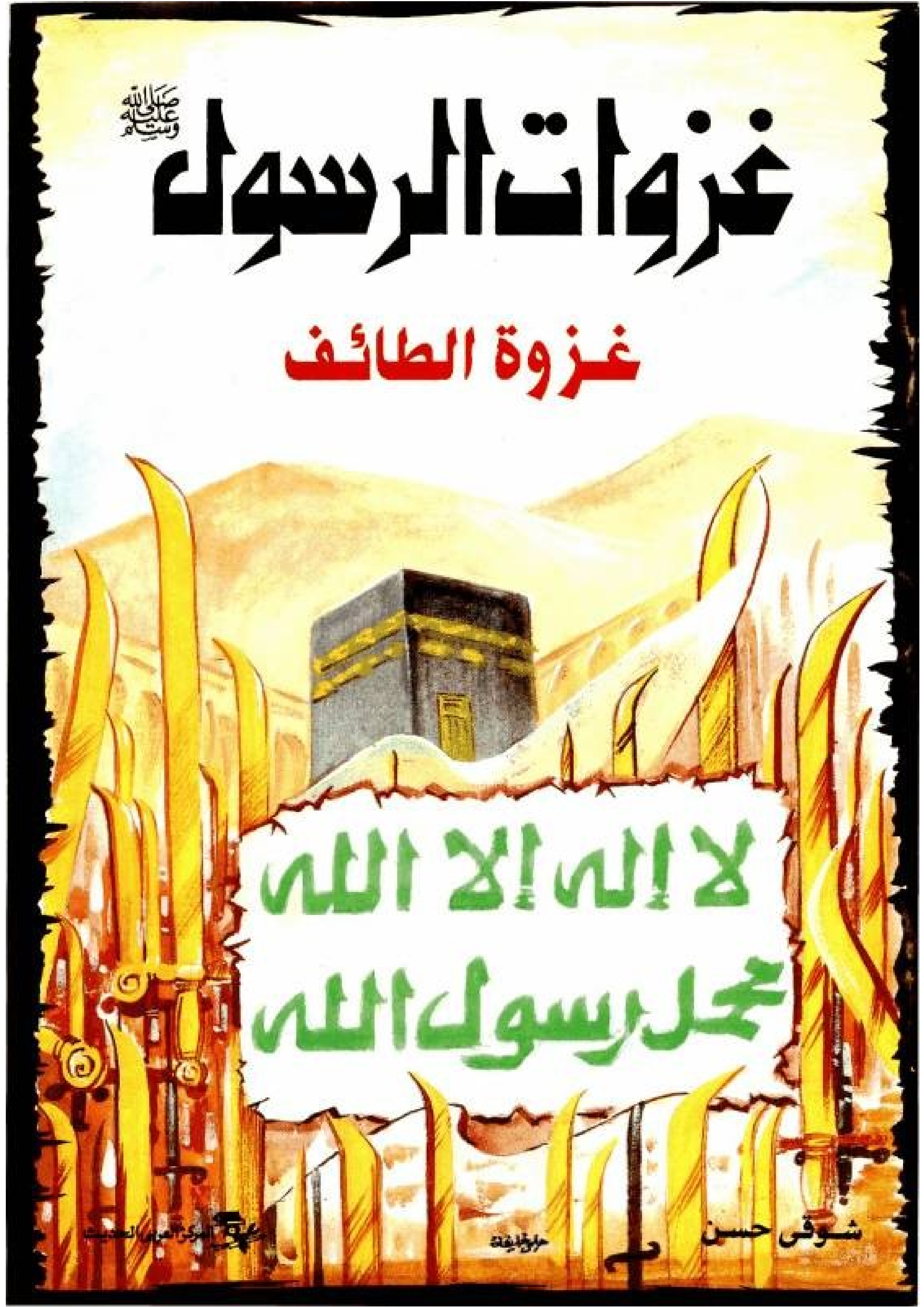
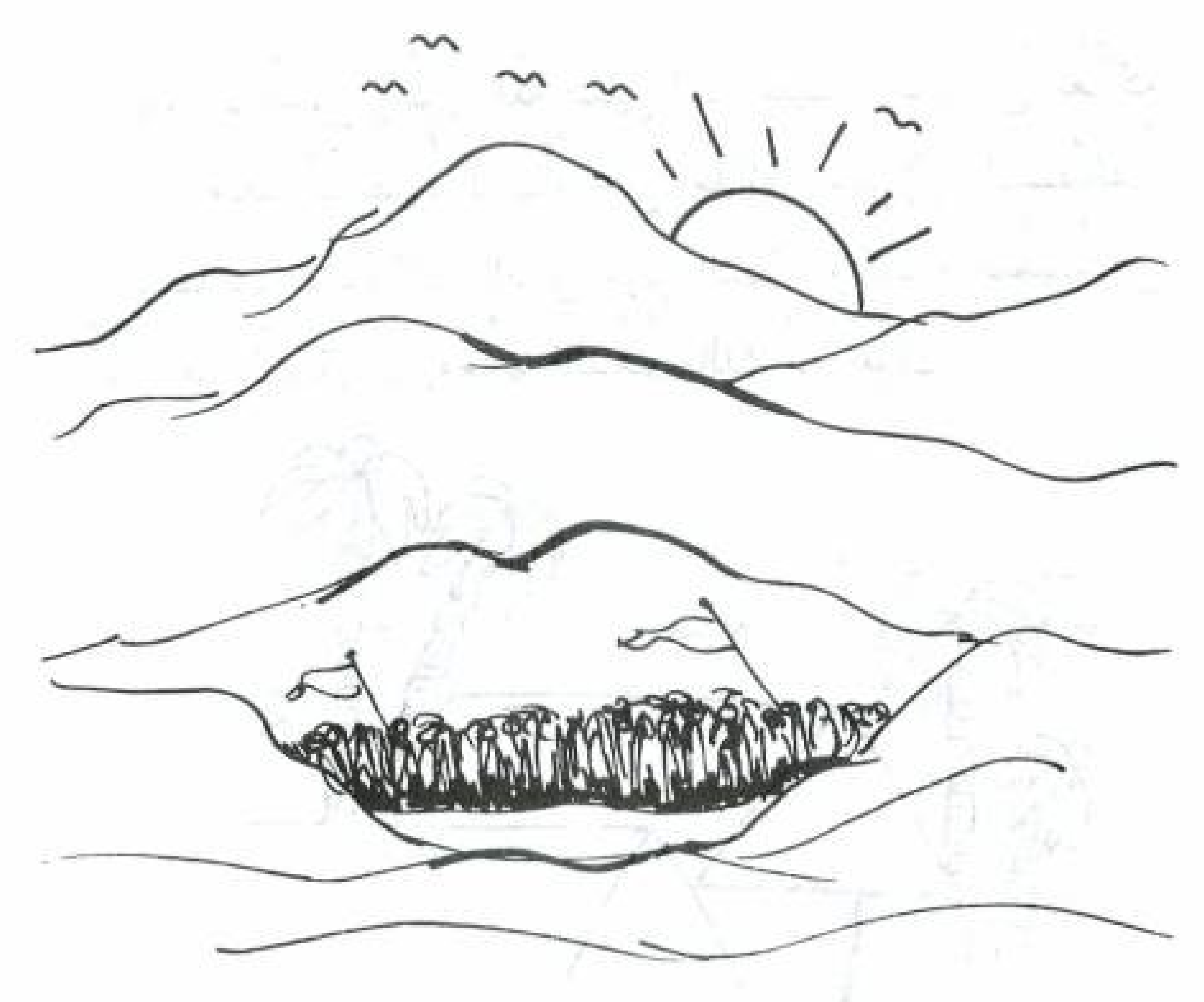


غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم
غزوة الطائف
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
شوقي حسن

بَعْدَ أَنْ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَعْرَكَةِ حُنَيْنٍ ، وبَعْدَ أَنْ نصره الـلَّهُ عَلَي أَعْدَائه . سَارَ إِلَى الـطَّائف لِتُحَـارِب الْمُشْرِكِينَ الَّذِين هربوا إِلَيْهَا ، وَكَانَ مُعظمهم مِنْ كُفَّارِ هوازِنَ وثقيف ومعهم قَائدهُمْ مالك بن عَوْفٍ .





تَحَرَّكَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم وَمعه خَالدُ بْنُ الْوَلِيد نَحوَ الـطَّائف وَمعهم جيشُ الْمُسْلِمين الَّذى كَانَ يَزيدُ عـلـى أَلْفَىْ مُقَـاتِل ، وقَدْ جعَلَ الرسول صلي الله عليـه وسلم فِى مُقَدِّمَة قُوَّاته عيوناً تَرقُبُ لَه الطَّرِيق عَنْ بعد ، وَجعَلَهُم أَيْضـاً يَسلُكُونَ طَرِيقاً غَيرَ مأْلُوف.

كَانَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مُنْذُ أَنْ وَصَلَ إِلَى الطَّائِفِ وَمَعَهُ الهَارِبِينَ مِنْ مَعْرَكَةِ حُنَيْنٍ قَدْ تَحَالَفَ مَعَ أَهْلِ الطَّائِفِ وَأَعَدَّ جَيْشاً قَوِيّاً وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِم خَوْفاً مِنْ قُدُومِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ عَيَّنَ عُيُوناً لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ لِتَنْقِلَ إِلَيْهِ الأَخْبَارَ



وَفَــجْأَةً رأى مَــالِكُ بْنُ عَوْفٍ من حِصْنِه قُوّاتُ الْمُسْلِمِين تأخــذُ مواقعهــا بالقُرب من حِصْنه ، وقد فَرَضَتِ الْحصار على أَهْل الْحِصْنِ . فَراحت قُوّاتُ الْمُشــــــــــرِكين تَقْذِفُ قُوّات الْمسلمين بِالسِّهام فِى كَثْرةٍ وشِدَّةٍ .



وَبَعْدَ ذَلِكَ بَعَثَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ حِصْنِهِ بِرِسَالَةٍ إِلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ فِيهَا : الْمَوْتُ يَنْتَظِرُكُمْ ، فَقَدْ أَعْدَدْنَا الْعُدَّةَ لِقِتَالِكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ يَنْتَظِرُ ، وَمَنْ ذَهَبَ حَمَى نَفْسَهُ مِنَّا ، وَمَعَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِينَا . وَلَكِنَّ مَالِكاً رَأَى الْعَزْمَ وَالإِصْرَارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ إِذَا طَالَ الْحِصَارُ أَيَّاماً طَوِيلَةً .

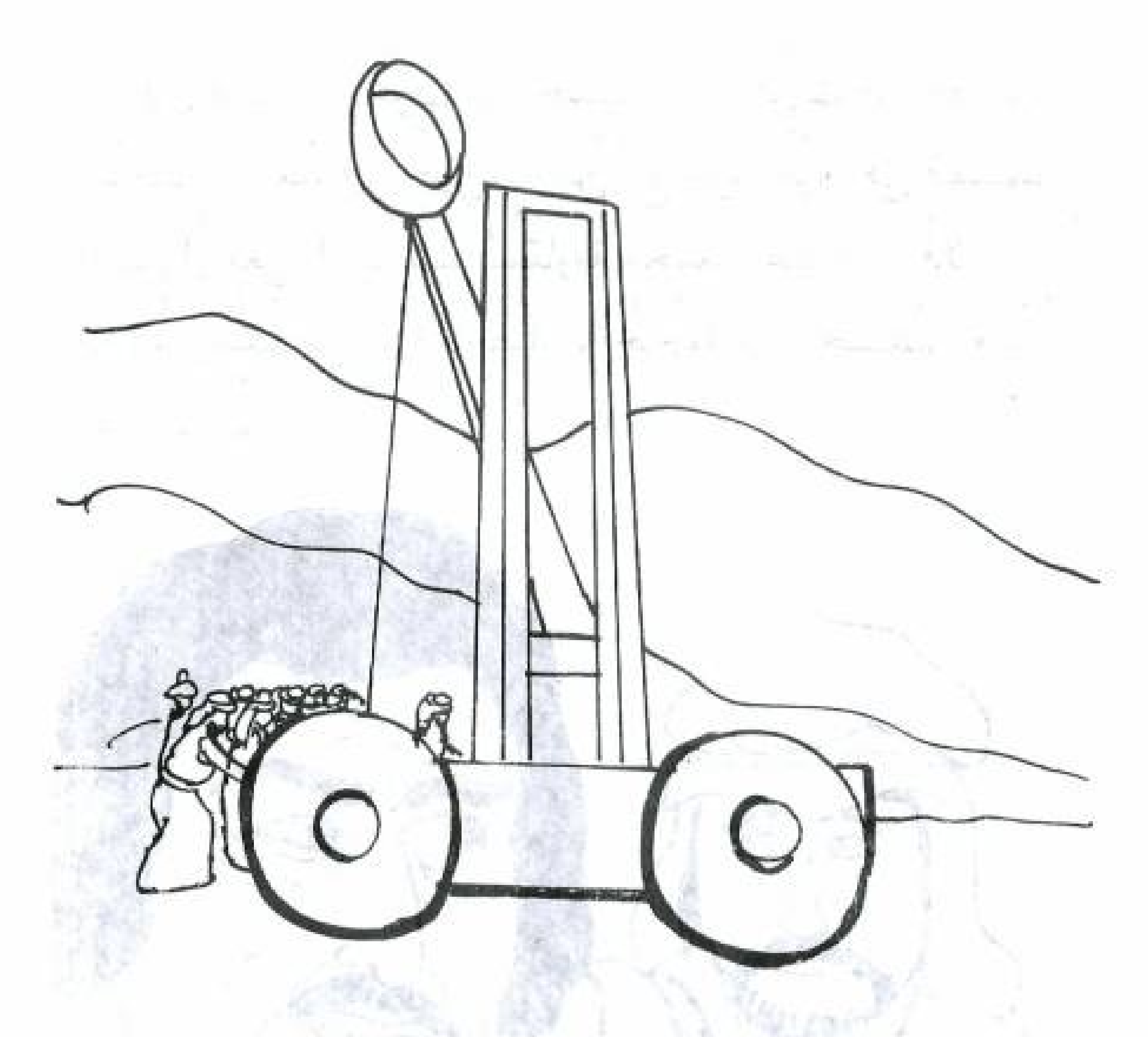


اجْتمعَ زعَماءُ الطَّائفِ منَ الْمُشْركينَ بمالكْ بنِ عوْف وقالُوا لهُ : إلَى أيّ مدَى يظَلُّ حصارُ جيْش الْمُسلمينَ لنَا ، إنَّ الرِّجالَ في الْحصْنِ فقدُوا عزيمتهُمْ وقُدْرتهُم علَى الْقتالِ ، ونحنُ نرَى أصْحابَ محمدٍ عازمُونَ علَى قتْلنَا.



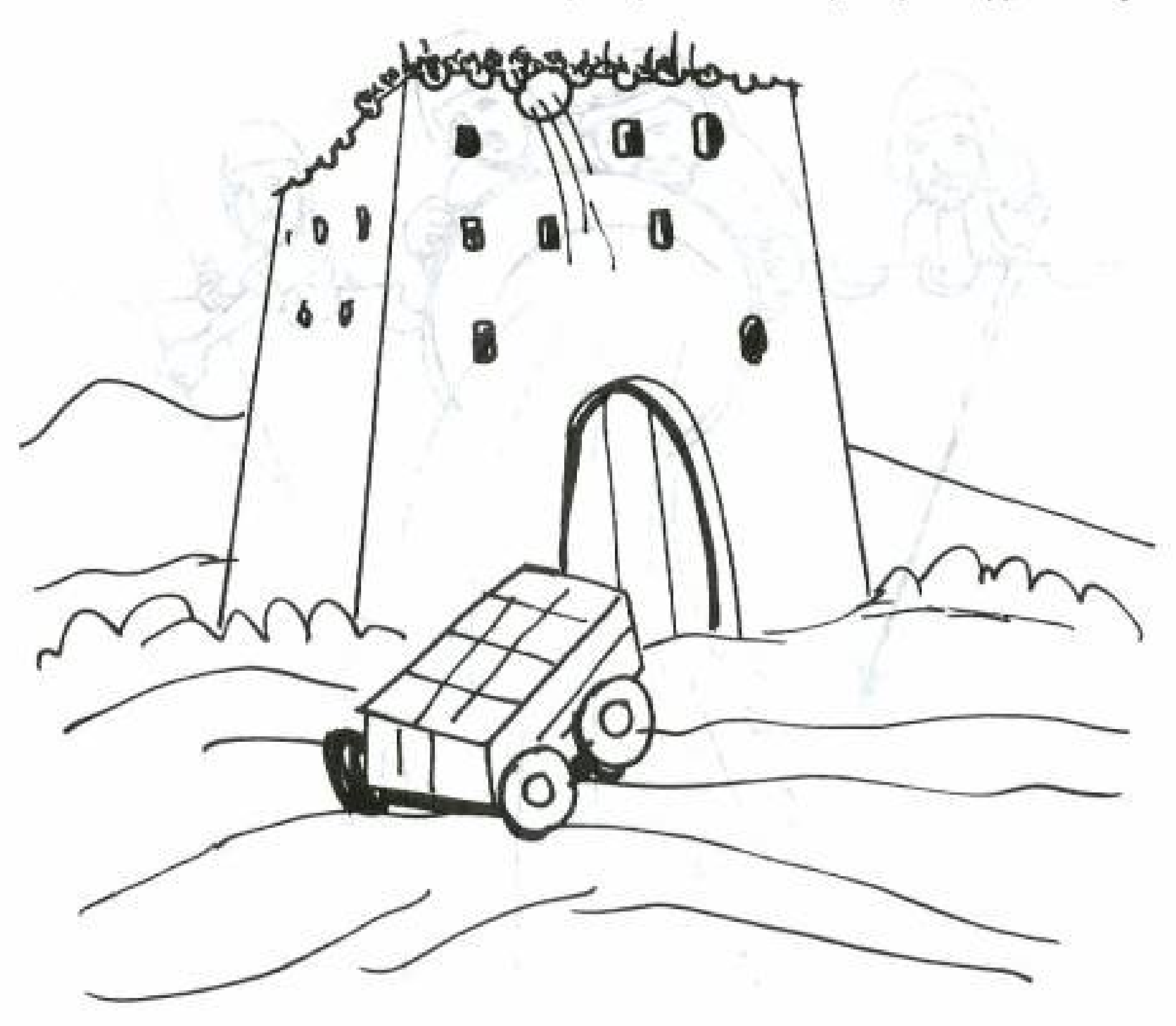
قَالَ مَالكُ بْنُ عَوفٍ فِى غَضَبٍ : لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْ قبضَـــةِ أَصْحَابِ مُحَمدٍ فِى حُنينٍ ، وَلَنْ أَقَعَ مَرةً أُخْرَى فِى قَبضَتهم ، وَمَــازَالَ مَعِىَ الكَثِــيرُ لِمُقَاومَةِ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابه ، فَإِنْ خَارت قُواكُمْ وتَعِبْتُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحِصَارِ ، أَخْرجُوا مِنَ الْحِــصْنِ وَسَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ لَهُم .





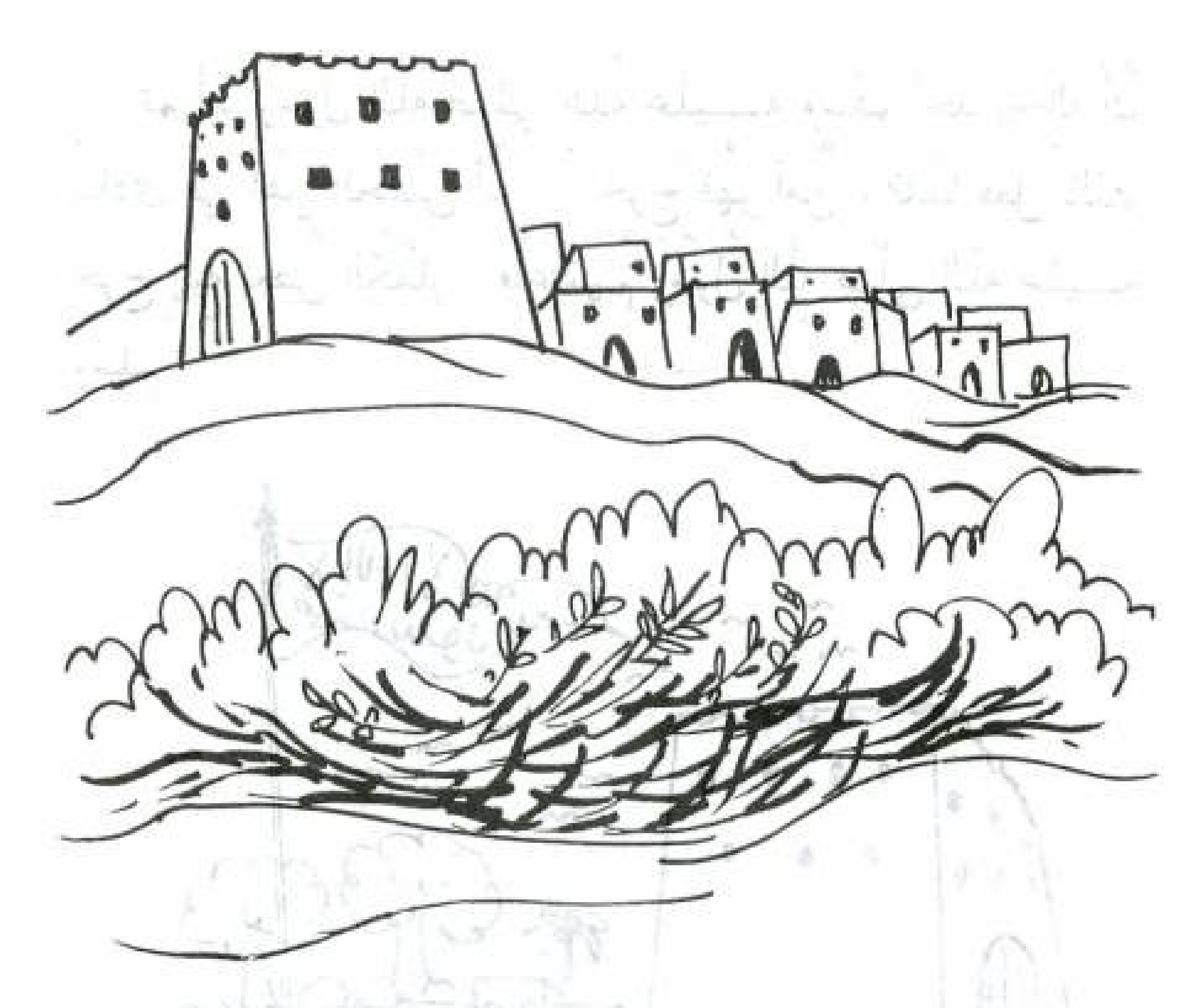
وبعد هذا الحصار الذي أفقد العدو صبره وعزيمته أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم رجاله بنصب آلة تستخدم في قذف الحجارة تسمي «المنجنيق» فنصبه المسلمون وراحوا يقذفون الحصن حتي يتحرك الموقف ويخاف العدو .

عِنْدَمَا قَذَفَ الْمُسْلِمُونَ الْحِصْنَ حَدَثَ فِيــهِ شَرَخٌ مِنْ كَثْرَةِ الْقَذَائِفِ الْمُلْقَاةِ عَلَيْهِ ، وَتَحَرَّكَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَ عَرَبَــةٍ مِنَ الْخَشَبِ نَحْوَ الــشَّرْخِ ،وَرَاحُوايُحْدِثُونَ فَتْحَةً بِالْحِصْنِ ، وَلَكِنَّ مَالِــكــاً كَانَ يُعِدُّ لِمِثْلِ هَذَا الأَمْرِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَشَارَ إِلَي قُوَّاتِهِ الَّتِي تُرَابِطُ فَوْقَ الْحِصْنِ



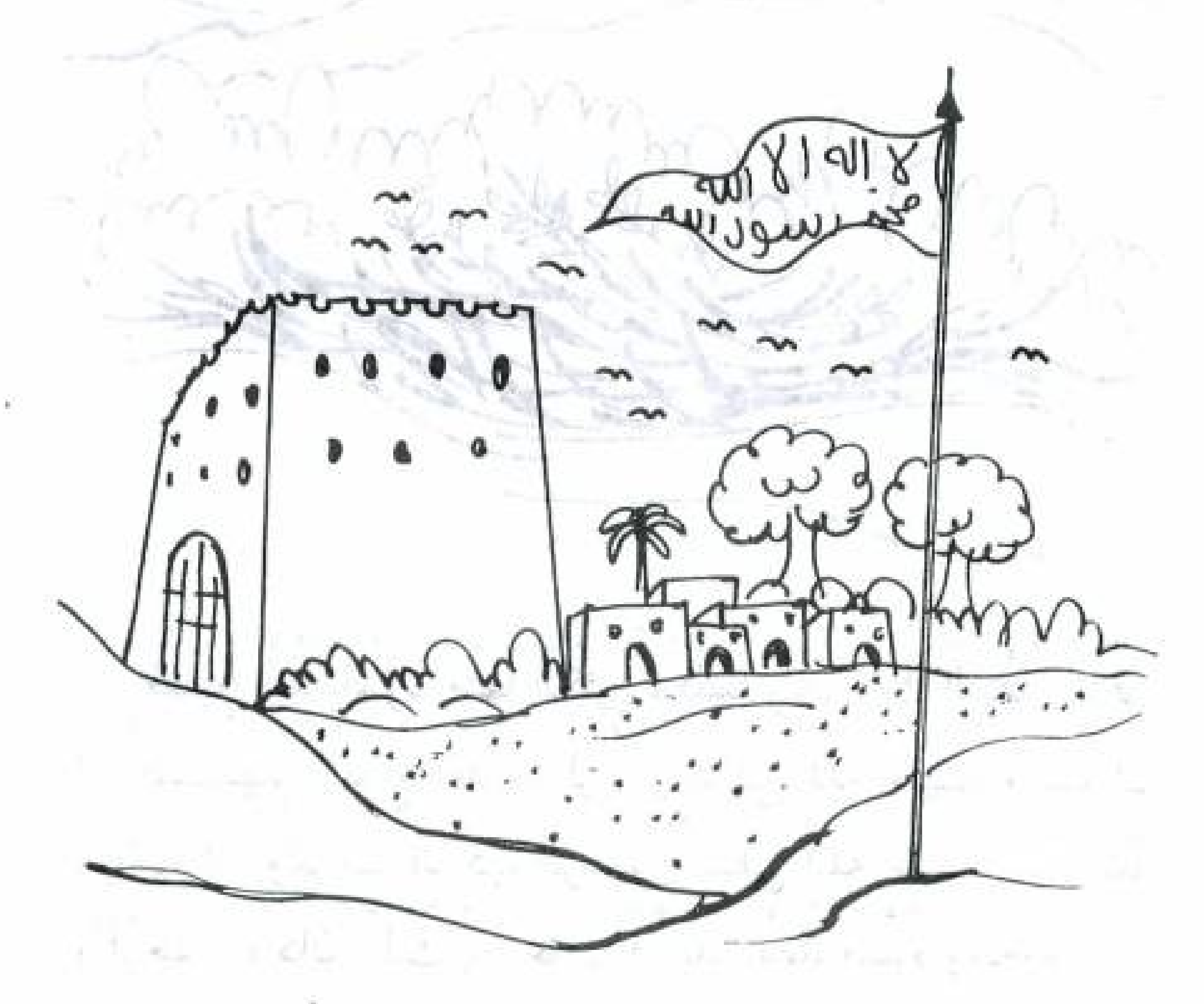
فَأَرْسَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِم حَدِيداً سَاخِناً وَسَائِلاً مَغْلِيّاً، فَأَسْرَعَ أَفْرَادُ الْمُسْلِمِينَ عَائِدِينَ إِلَى مَوَاقِعِهِم . فَلَمَّا رَأَي ذَلِكَ الرَّسُولُ صلى الله عَلَيْــــه وسلم أَنْتَظِرَ حَتَّى حَلَّ الظَّلَامِ ، وَأَمَرَ رِجَالَه بِقَطْعِ الأَعْنَابِ وَالثِّمَارِ الَّتِي تُحِيطُ بِالْحِصْنِ ثُمَّ يُحْرِقُونَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .





فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا الْكَثِيرَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْكُفَّارُ خَافُوا أَنْ يُصِيبَهُمُ الْجُوعُ ، فَدَعَوا الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَتْرُكَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَتَرَكَهَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلَّم لِلَّه وَلِلرَّحِمِ . وكَانَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ قَدْ بَدَأَ يَفْقِدُ صَبْرَهُ وَشَجَاعَتَهُ .

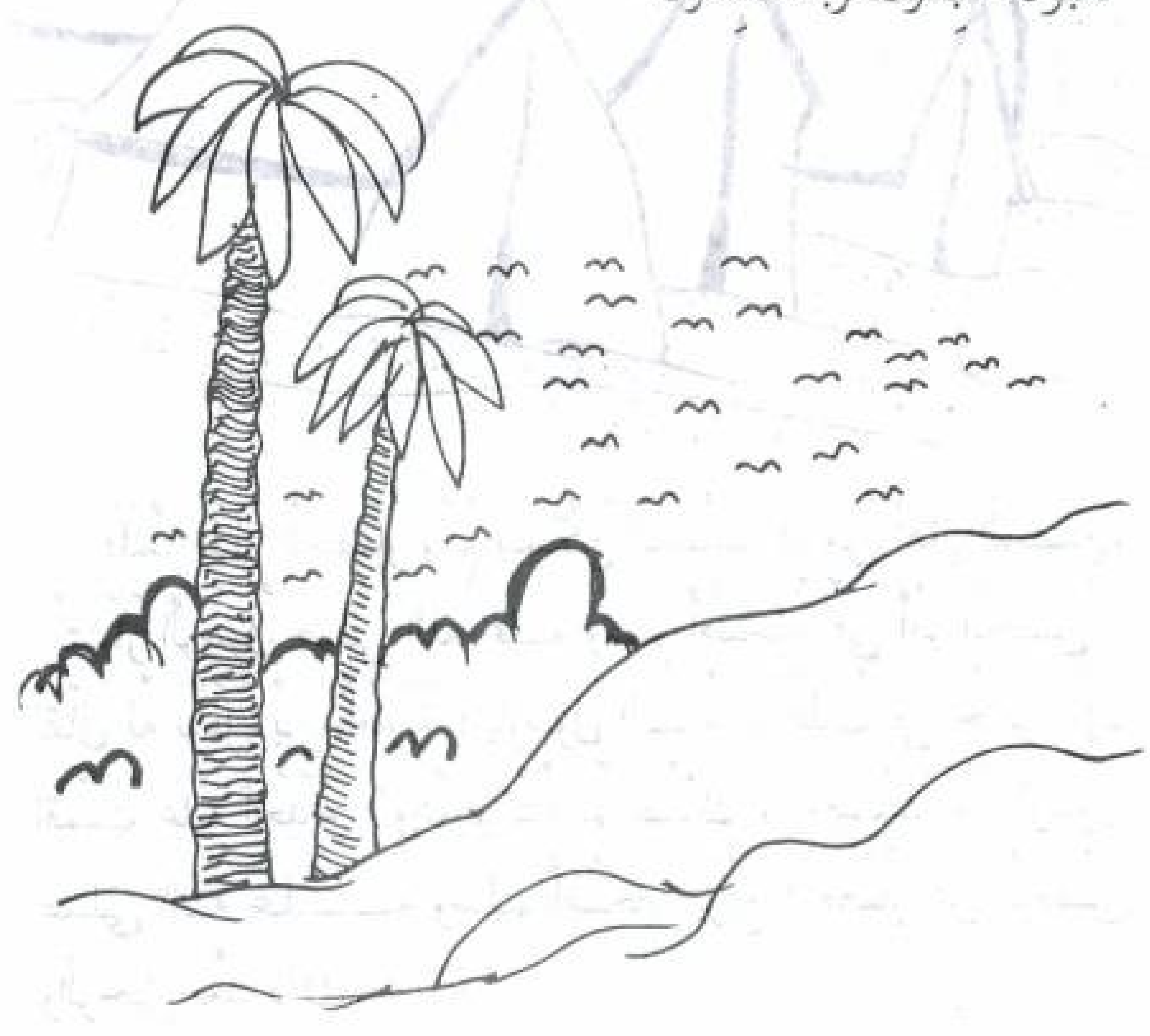
ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّه صلى اللهُ عليـــه وسلَّم أَحَدَ رجاله أَنْ يُنَادى فى أَهْلِ الْحصْنِ أَنَّهُ من خَرَجَ فهو آمن ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلك خرجَ إليه بعضُ الْكُفَّارِ ، فأَعْتقَهم رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهَ عليـــه وسلم .



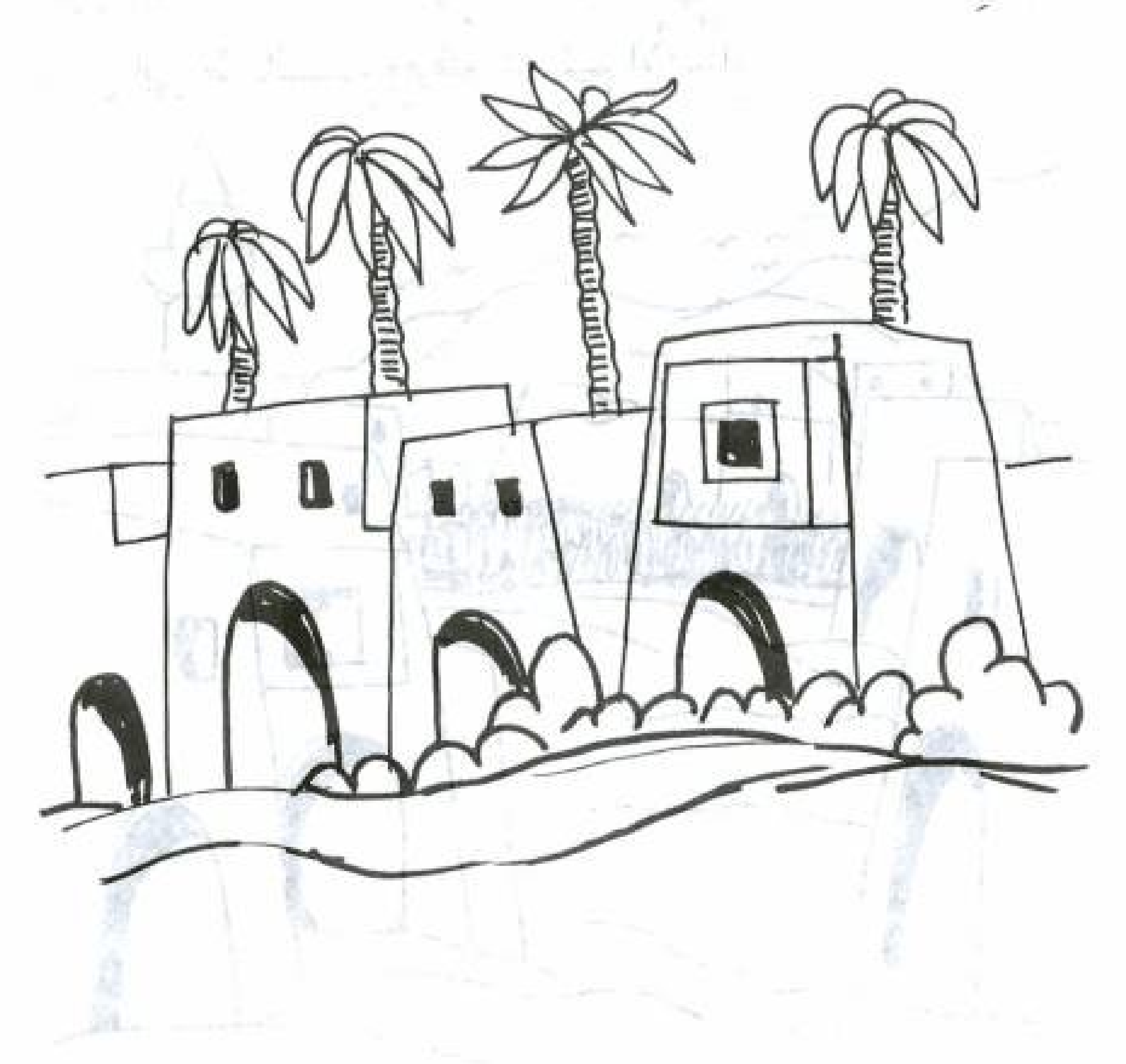


فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْحِصْنِ ، اسْتَشَارَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلَّم أَصْحَابَهُ فِي أَمْرِ الْحِصْنِ ، فَقَالَ لَهُ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ ، إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ ، وَحِينَئِذٍ أَمَرَ الرَّسُولُ صلى اللهَ عليه وسلم أَصْحَابَهُ بِرَفْعِ الْحِصَارِ عَنِ الْحِصْنِ وَالرَّحِيلِ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُخَاطِباً الْمُسْلِمِينَ : إِنَّا عَائِدُونَ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا : أَنَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ ؟؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : غَداً قَاتِلُوا . فَلَمَّا جَاءَ الْغَدُ وَقَاتَلُوا أُصِيبَ بَعْضُهُمْ بِجِرَاحٍ. فَلَمَّا عَادُوا قَالُوا : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ.



فَلَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليـــه وسلم إِلَى الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَة وَاطْمَأَنَّ عَلَى مَكَّةَ وَالْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَة وَأَصْبَحت يحْكُمها الْمُسْلِمُونَ ، رَاحَ يبْحَثُ فِي أَمْرِ الْقَبَائِلِ الَّــتِي مَا زَالَتْ عَلَى الشِّرْكِ.



وَفِى شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّل مِنَ الْعَامِ التَّاسِعِ الْهِجْرِىِّ ، أَمَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليــه وسلم بخروجِ عَلِىِّ بْنِ أَبى طَالب فى قُوَّةٍ إلَى قَبيــلَةِ طَيْءٍ والــتِى تبعدُ عَنِ الْمَدِيــنَة مسيرة أيَّام ، وكَانَت هذه القَبيــلَةُ تُشْرِكُ باللــه ، وتعبُدُ الأَصْنَام ، وتقُومُ بأَعْمَالِ الْقرصنة عَلَى تُجَّارِ الْمُسْلمين ، وأَمَرَالرسُولُ صلي الله عليـه وسلم عَلِىَّ بــن أَبِى طــالــبٍ وفِرقته بتحطِيمِ الأَصْنَامِ .





فَلَمَّا عَلِمَ عَدِىُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِىِّ زَعِيمُ قَبِيلَةِ طَيِّئ بِاقْتِرَابِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَهُ ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى حَلَّ الظَّلَامُ وَنَامَتِ الْقَبِيلَةُ ، فَهَرَبَ هُوَ وَأُسْرَتُهُ دُونَ أَنْ يَدْرِى بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَفِى الطَّرِيقِ بَحَثَ عَدِىٌّ عَنْ شَقِيقَتِهِ فَلَمْ يَجِدْهَا ، وَاكْتَشَفَ عَدِىٌّ أَنَّهُ قَدْ نَسِيَهَا.

وَفِي الصَّبَاحِ اكْتَشَفَ رِجَالُ قَبِيلَةِ طَيِّءٍ هُرُوبَ قَائِدِهِمْ وَزَعِيمِهِمْ فَتَحَصَّنُوا وَحَمَلُوا السِّلَاحَ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَائِدَ الْمُسْلِمِينَ يُطَالِبُهُمْ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي يَضْمَنُ لَهُمُ الْأَمَانَ . فَمَنْ تَرَكَ سِلَاحَهُ وَجَلَسَ دَاخِلَ بَيْتِهِ فَهُوَ آمِنٌ . فَاخْتَلَفَ رِجَالُ الْقَبِيلَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.



فبعضهم رأى أن يسلموا وبعضهم رأى أن يقاتلوا .فدبَّ الصراع بينهم . فدخلها جيش المسلمين ، وأسروا رجالهم بعد مناوشـــات وقتالٍ قصير . ثمَّ قام المسلمون بعد ذلك بتحطيم أصنامهم ومعابدهم ، وأخذوا معهم السبي والغنائم .



وَلَمَّا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَدِيِّ بْن حَاتم قَالُوا : لَقَدْ هَرَبَ عَدِيّ وَتَرَكَ أُخْتَهُ . فَقَالَتْ أُخْـــتُ عَدِيّ : مَالَكُمْ يَا أَصْحَابَ مُحمّد وَمَالَ عَدِيّ أَلَمْ تصِيبُوا مَاأَتَيتُمْ من أَجْلهِ ؟ وَقَدْ حَمَلَتْ أَيْدِيكم الْغَنَائِمَ وَالّسَبْي . فَأَخَذَهُم الْمُسْلِمُونَ جَمِيــعــاً إِلَي الْمَدِينَة.



وَلَمَّا جَاءُوا إِلَي الْمَدِينَـــةِ الْمُنَوَّرَةِ وَضَعُوا الْأَسْرَي فِي مَكَانٍ أَمِينٍ فَلَمَّا أَتَي رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليـه وسلم وَرَأَى الْأَسْرَي اسْتَعْطَفَتْ أُخْتُ عَدِيِّ بْن حَاتِم قَائِلَةً لِلرَّسُولِ صلي الله عليـه وسلم : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غَـابَ الْوَافِدُ ، وَانْقَطَعَ الْوَالِدُ ، وَأَنَا سَيِّدَةٌ كَبِيرَةٌ فَمُنَّ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ .





فَقَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم : مَنْ وَافِدُكِ ؟ قَالَتْ عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : الَّذى فَرَّ مِنَ اللَّـه ورسوله ؟ ثُمَّ مضى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيه وَسَلَم . وَفِى الْيَوْمِ التَّالى قَالَتْ ما قَالَتْه بالأَمْسِ واسْتَمَرت على ذَلِكَ أَيَّاماً . فَمَنَّ عليها الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ، وَخَرَجَتْ لِلمَدِينَةِ مَرَّةً فَأَسْلَمَتْ للَّه تعالَى.

وبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ تَبْحَثُ عَنْ أَخِيهَا فِي الشَّامَ فَلَمَّا إِسْتَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَعَرَفَتْ مَكَانَهُ ، ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِهَا فِي أَسَفٍ فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ مَالَمْ يَفْعَلْهُ أَبُوكَ فَهَيَّا مَعِي يَاعَدِيّ رَاغِبـــاً مُتَقَرِّباً لِلَّهِ تَعَالَى ، وَلِتَلْحَق بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .





فَلَمَّا جَاءَ عَدَىٌّ إِلَي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ طَلَبَ مُقَابَلَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَلَمَّا قَابَلَهُ قَالَ لَه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : مَا يَغُرُّكَ ؟ أَيَغُرُّكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ؟ هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ سِوَى اللَّه ؟ وَرَاحَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم يُحَدِّث عَدِىَّ عَنِ الإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ عَدِىٌّ قَائِلاً : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه ، وَقَدْ انْبَسَطَ وَجْهُهُ فَرَحاً . وَانْضَمَّ إِلَى أَفْرَادِ قَبِيلَتِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا.

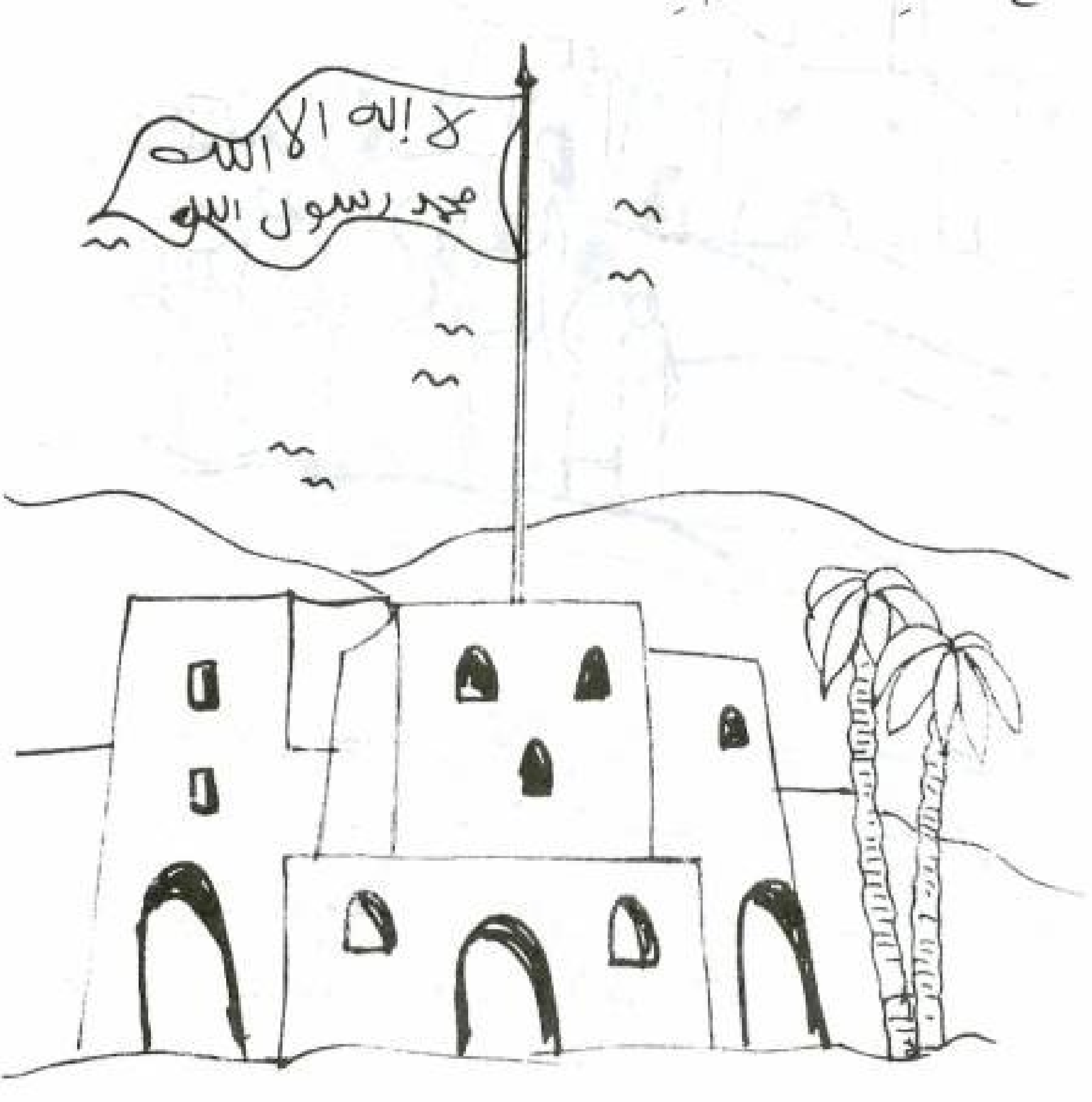
فلمَّا علمت قبيلةُ بنى كلاب ما صار إليه عدىُّ بن حاتم وقومه ، أعدّت نفسها لقتال المسلمين حين ياتون إليهم ، وقد رفض زعماءهم أن يدخلوا فى الإسلام ، وراحوا يقيمون أصنامهم على مشارف القبيلة بالوادى لكى تحميهم من المسلمين .





فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحَدَ صَحَابَتِهِ لِيَدْعُوهُم إِلَى الإِسْلاَمِ فَرَفَضُوا وقَالُوا : لَنْ نَكُونَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ. فَلَمَّا عَادَ الصَّحَابِي إِلى الْمَدِينَةِ أَمَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم الضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ أَنْ يُجَهِّزَ فِرْقَةً إِلَى بَنِي كِلاَبٍ.

خَرَجَ الـضَّحَّاكُ بـن سُفْيَانَ بفرقته من الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرة إلى قَبيلَةَ بَنِي كِلاَب . فلمَّا وصَلَها دار قتـــالٌ عنيف بينهما ، واستطاعَ الـضَّحَّاكُ في هذه الْمعْركَة أنْ يهزِم بنـي كلاَبٍ وأنْ يرْفعَ الْمسلمُونَ رايتهم فيها .





فَأَسْلَمَ بَعْضُ قَبِيلَةِ بَنِي كِلاَبٍ وَخَرَجَ البَاقِي الَّذِي بَقِيَ عَلَي الشِّرْكِ . وَهَكَذَا كَانَتْ رَايَةُ الإِسْلاَمِ تَرْتَفِعُ عَالِيَةً خَفَّاقَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » سورة الروم -٤٧-